

الدلائل العقلية في آيات الأنبياء الحسيّة لا بد فيها من بيان أمرين:



الأول: الفرق بين النبي والساحر، والخوارق الإلهية والخوارق الشيطانية

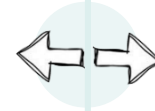
لما كانت دلالة المعجزات الحسية على النبوة متوقفة على التفريق بين الخوارق الإلهية والخوارق الشيطانية - حتى يتوصل بذلك إلى التمييز بين النبي والساحر - ، بيّننا الله في كتابه أتمّ بيان، كما جاء في خواتيم سورة الشعراء ، فهذا السياق أصل في إثبات النبوة، والتفريق بين الأنبياء وآياتهم والكذابين وخوارقهم ، وذلك أنه نبّه إلى الحقائق التالية:



النبي والخوارق الإلهية

أن آيات الأنبياء لا يقدر عليها أحد غير الله ، وهي خارقة لعادة الثقلين، ولا يمكن لأحد معارضتها بمثلها البتة .

أن من تظهر عليه آيات النبوة لا يكون إلا صادقاً فيما يخبر به، ولم يُجرب عليه الكذب .



الساحر والخوارق الشيطانية

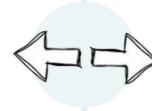
أما ما يأتي به الكهان والسحرة فإنه لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، لأنها تقوم على التحايل والتخييل فلا تلبس بآيات الأنبياء .

أما أصحاب الخوارق الشيطانية فإنهم لا بد أن يكونوا موصوفين بالكذب، وأنه عادة عندهم ، وصفة ملازمة لهم .

النبي والخوارق الإلهية

أن ما يأمر به النبي الصادق إنما يكون من جنس ما أمرت به الرسل قبله من العدل، وطلب الآخرة، وتوحيد الله .

النبوة وآياتها اصطفاء من الله تعالى وابتداء منه .



الساحر والخوارق الشيطانية

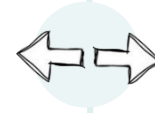
أما الساحر والكاهن فإنما يأمران بالشرك والظلم، وتعظيم الدنيا.

الكهانة والسحر والخوارق الشيطانية تُنال بالاكْتساب والتعلم .



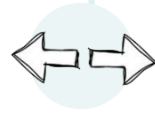
النبي والخوارق الإلهية

أن آيات الأنبياء لا تكون إلا نافعة طيبة ،
من جنس خير ، لا يلزم منها شر ولا أذى
لأحد بغير حق .



الساحر والخوارق الشيطانية

الخوارق الشيطانية يلزم منها شر وأذى
لأحد بغير حق .



إن الله تعالى لا يبعث رسولاً إلا ويجعل له
من القرائن والدلائل المحتفة به ما يمتنع
معه أن يقع أدنى التباس بينه وبين إخوان
الشياطين.

إن الله تعالى لا يؤيد الساحر والكاهن
بالقرائن والدلائل المحتفة التي تمنع وقوع
الالتباس.

مسألة "التفريق بين آيات الأنبياء وكرامات الصالحين":

أنكر بعض أهل البدع: الكرامات، بزعم أنها لو جاز وقوعها لالتبست بآيات الأنبياء، والصحيح أن الصالحون لا يُتصور منهم ادعاء النبوة، وكراماتهم من جنس معجزات الأنبياء بل هي داخلة فيها، فهي كرامة للولي ومعجزة للنبي في آن واحد، فالولي ما نالها إلا لصدقه في متابعة النبي فدلّت على صدق ذلك النبي، وطريق التفريق بينها وبين الخوارق الشيطانية هي نفس طرق التفريق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة، أي أنها تُعلم بمجموع أحوال وأقوال كل من الفريقين.





طرق التفريق بين كرامات الصالحين وآيات الأنبياء:

4

أن كرامات الأولياء من حيث خرقها للعادة، لا تصل إلى حد آيات الأنبياء في قدرها وعظمتها ، وإن كانت تدخل معها في جنس خرق العادة .

3

أن الأولياء أنفسهم لا يدعون النبوة، بل يشهدون على أنفسهم أنهم ما كانوا لينالوا هذه الكرامات من الله تعالى لولا لزومهم متابعة الأنبياء.

2

أن الكرامات تنال بالصلاح والعبادة، أما معجزات الأنبياء فلا تنال بذلك، حتى يأذن الله فيها .

1

أن الكرامات معتادة في الصالحين من هذه الأمة ومن قبلها من الأمم، فهي ليست خارقة لعادة الصالحين، أما آيات الأنبياء فهي خارقة لعادة الصالحين، مختصة بالأنبياء.



الثاني: إفادة الأخبار المتضمنة لدلائل النبوة العلم

معينة الآيات الحسية للأنبياء ومشاهدتها مباشرة لم يتيسر لكل أحد، وطريق العلم بالآيات التي أيد الله بها أنبيائه ورسله بالنسبة لمن يأتي بعد زمانهم، هو نفس الطريق الذي علم به ذلك معاصروهم، ممن لم يباشروا ظهور الآية، فالعلم اليقيني لا يتوقف على الإحساس المباشر بالبصر أو السمع، وإنما يكون أيضاً بالسمع وتلقي الأخبار، وهذا وإن كان ينزل عن رتبة المباشرة إلا أنه لا ينزل عن رتبة الإفادة اليقينية، إذا توافرت فيه شروط ذلك، كالتواتر، أو الثقة مع احتفاف القرائن الدالة على الصدق، وثبوت الخبر.

ذكر ابن تيمية الطرق التي يُعلم بها أن مرويات دلائل النبوة وأخبارها تفيد العلم وهي:



التواتر العام:

وهو تناقل الأمة لها جيلاً بعد جيل،
وخلفاً عن سلف بمختلف طبقاتها.



التواتر الخاص:

وهو تواترها عند أهل العلم
بالحديث وقطعهم بصحتها.



التواتر المعنوي:

حين يسمع الناس أخبار متفرقة يشترك
مجموعها في أمر واحد، فيحصل بهذا
المجموع علم ضروري بذلك الأمر.

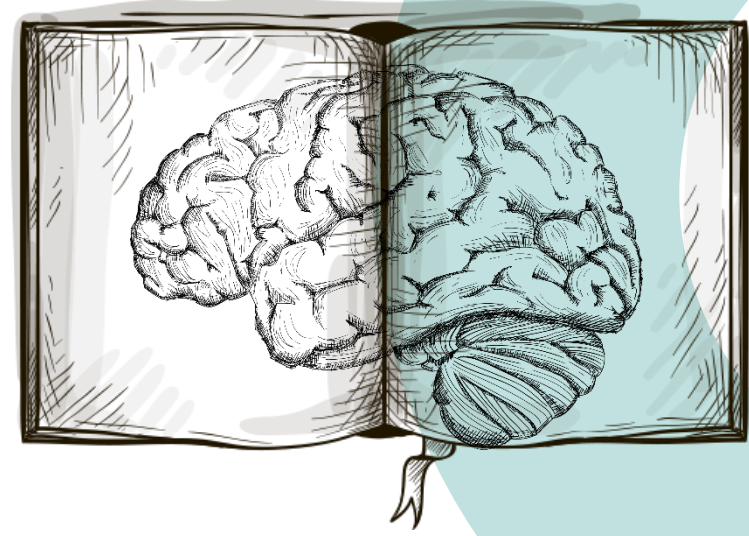
اتفاق من حضر الآيات عند نقلها
وروايتها وتصديق بعضهم لبعض .

ما تواتر عند أصناف العلماء من الآيات .

مصنفات العلماء الكثيرة في ذكر آيات
النبي عليه الصلاة والسلام وبراهينه .

فمن هذا نعلم حجة آيات الأنبياء على كل من بلغته بطريق صحيح ،
فضلاً عما يشرها ، وأن من يقلل من شأن دلائلها ، أو لا يأبه لها ، أو
يريد الاستغناء عنها بإعجاز القرآن، أو الاكتفاء بدلالة مضمون
الرسالة والدعوة على صدق الرسول، أو غيرها من أنواع دلائل النبوة
، أنه لا يستند إلى دليل، أو إلى حجة عقلية ، ولا سمعية .
بل إن حجيتها قائمة على كل من حصلت له مكنة العلم بها، ولو لم
يحصل له العلم بها فعلاً لتفريط منه .

المبحث الثالث
دلالة النصرة والعاقبة



كثرت الإشارة في القرآن إلى دلالة النصر والعاقبة وتشمل :

النصر المعنوي: وذلك بظهور حجج الرسل وبراھينهم الدالة على صدقهم. وقد يُعترض على هذا الدليل ببعض الاعتراضات مثل:



النصر الحسي وهو اطراد العادة بأن ينصر الله تعالى أنبيائه ورسله ويظهرهم على عدوهم، فلو كانوا يكذبون بدعوى النبوة والرسالة لامتنع في حكمة الله أن يؤيدهم، ولكان ذلك إضلالاً للخلق يُنَزّه عنه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين.

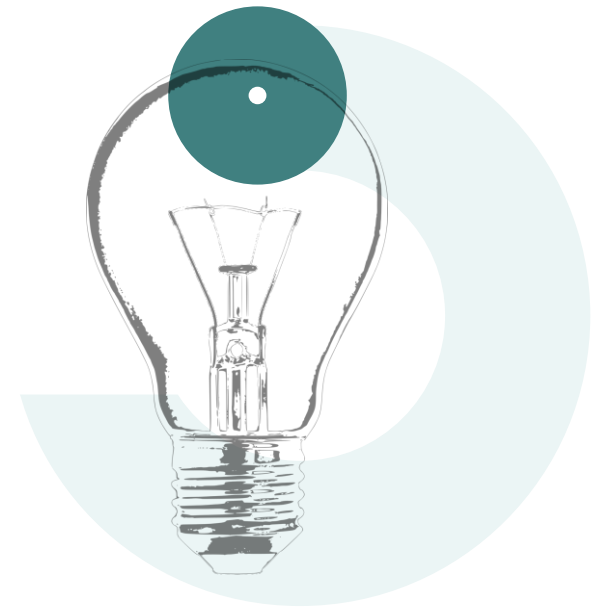
○ أن الكفار قد يتسلطون وتكون لهم الدولة في كثير من الاحيان.

الجواب: أن هؤلاء لم يدع أحد منهم النبوة، أما من يدعي أن الله أرسله إلى الناس فلا يخلو من حالين: إما أن يكون رسولاً صادقاً فينصره الله وأتباعه، أو كذاباً مفترياً على الله فينتقم الله منه.
كما أن ظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوبهم ومخالفة أنبيائهم.

○ أن في الأنبياء من قُتل .

الجواب: يقول شيخ الإسلام: حال هؤلاء كحال من يُقتل من المؤمنين شهيداً في الجهاد؛ والقتل لا يتعارض مع حقيقة الظهور والانتصار، فإن الدين الذي قُتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر، فتكون لأهله السعادة في الدارين .

ووجه الدلالة في (دلالة النصرة والعاقبة) ظاهر ، حيث ارتبطت العاقبة بسببها المباشر وعلتها الظاهرة ، فالنصر للأنبياء وأتباعهم بسبب صدقهم وإيمانهم، وهلاك الكافرين لكفرهم وعنادهم، فهذه الدلالة من جنس دلالة سائر الآيات والمعجزات على صدق الأنبياء ، بل إن الاستدلال بالعاقبة أبلغ في حصول المقصود من الاستدلال بالمعجزات .



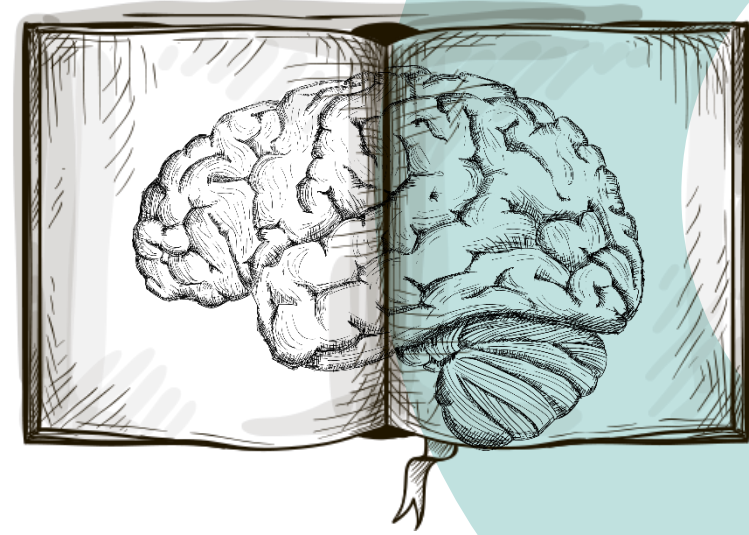
وذلك أن الأدلة نوعان :

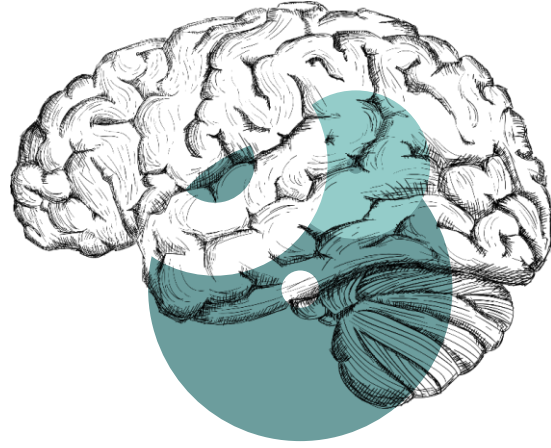
نوع يدل على المراد مع الحض فيه
أو الرهبة منه، فهو من جنس الحث
والطلب والإرادة والأمر بالشيء
والنهي عنه، وهذه الطريق أبلغ
وأكمل.

نوع يدل على مجرد العلم بالمدلول
عليه دون ترغيب أو ترهيب ، فهو
من جنس الخبر المجرد، والمعجزات
من هذا النوع .

ومما يؤكد هذا الارتباط والتلازم بين العاقبة وعلتها ، ذلك التمييز
الموجود في عقوبة أعداء الرسل وإهلاكهم ؛ فإنها تكون من جنس لا
يعذب به إلا من كذب الرسل مما يسمى عذاب الاستئصال .
وطريق العلم بهذه الدلالة على ثلاث حالات:
بالبصر أو السمع أو بهما معاً.

المبحث الرابع
دلالة الأحوال والأوصاف





وهي الدلالة المستقلة التي يجدها الناظر في مجموع أحوال نبي من الأنبياء وصفاته، وخصوصًا خاتمهم عليه الصلاة والسلام، وتحصيل هذه الدلالة يكون بالتأمل الشامل في أحوال الرسول وصفاته الخلقية، منذ ولادته وحتى وفاته، بل يتبع ذلك التأمل في حال أمته من بعده. وطريق ذلك: النظر فيما تواتر وقُطع بصحته من سيرته التي تناقلها الناس جيلاً بعد جيل، ودونها العلماء واعتنوا بحفظها وروايتها.

- أن الرسل من أعدل الناس طريقةً، وأصدقهم لهجةً وأكثرهم وقارًا.
- معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم الذين جُبلت الطباع على محبتهم.
- أنهم فقراء مساكين، تقتحمهم العيون، ومع ذلك رابطي الجأش، قلوبهم مطمئنة بنصر الله.
- حصول أغراضهم وكون العاقبة لهم ولأتباعهم على أعدائهم.
- زهدهم في الدنيا وإقبالهم على الآخرة.
- عدم تغير طريقتهم في الزهد والإقبال على الآخرة إذا تمكنوا من الدنيا.
- إجماعهم وعدم اختلافهم في دعوتهم مع عدم تواطؤهم.
- عجز أعدائهم عن إثبات كذبة واحدة فيما أخبروا به.

وقد نبه ابن الوزير إلى كثير من قرائن الأحوال الدالة بمجموعها على صدق النبوة: